ما لم تبُح به شهرزاد

أنا شهرزاد، أنا مَن بذلتُ نفسي لأفدي كل بنات جنسي، أنا التي سحرتُ شهريار بجمالي، وذكائي، وحكمتي، ودهائي. قبلتُ التحدي، تزوجته وأنا على يقين أن الموت سيكون مصيري الحتمي لو لم أبهره بما أخبئه في جراب الحاوي الذي بداخلي.

اخترعتُ له حيلة لم تخطر له ببال؛ الحكي، والأساطير والأهوال، فألَّفتُ القصص والحكايات؛ لأسردها له كل ليلة لاهيةً إياه عن فكرة قتلي بسيفه البتار، كنتُ أخشى تعطشه لدم النساء وخاصةً العذارى منهن، وظننتُ خطأً أن القتل ما هو إلا انتقام وإذلال، لكني تراجعتُ عن رأيي بعد الليلة الألف، حين اقتربتُ منه و اكتشفتُ أنه مسكين، يستحق الشفقة والعطف ، وإنه يداري قلة حيلته وراء نصل السكين، فأنستُ إلي ذاك المهيب، وسرعان ما غيرتُ كل الترتيب.

وبالفعل فقد نجحت خطتي الجديدة، جعلته يعشقني ويعشق حكاياتي، ويتلذذ ببوحي وانفعالاتي، كنتُ كلما أتى موعد الحكي والبوح، أجده سابقاً مترقباً منتظراً، متلهفاً، هو أراد قتلي بسيفه، وأنا أردتُ إحياءه

بحكاياتي، كان كلما ازداد تشوقه لمعرفة باقي الحكاية، أنتظرُ حتى يلوح الصباح لأسكتُ عن الكلام المُباح، لنبدأ سوياً رحلة الكلام الغير مُباح، أتدرون ما هو الكلام الغير مباح؟ بالطبع لا، فالكلام الغير مباح ظل سراً بيني وبين شهرياري، وهو سبب فوزي وانتصاري، ولكني سأبوح لكم به الآن، فكلُ شئ قد تكشف للجميع

. بلغني أيها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد، أنه كان وياما كان، منذ قديم الأزمان، كان هناك مخلوق اسمه المرأة قالوا عنه ضعيف، عقله خفيف، لا يجيد من أمور الدنيا سوى التبرج والتصفيف، ولا تشغله من مشاغل الحياة غير الإهتمامات البيتية كالكنس والتنظيف، وأنه لصيق بهذا الكائن الجهل وقلة المعارف، و حبذا لو ظل بعيداً عن المباحث والمكاشف، لأنه لو خرجت المرأة لتقوم ببعض الأعمال، واختلطت بالسادة الرجال، ودرست وتعلمت الكثير من الأحوال، لتبدل حالها من حالٍ إلى حال، فتصبح للرجل ندِّية، وتنسى الحب والتضحيَّة، فالعلم للمرأة كشمس الصحراء، يفعل بها كما يفعل السوس بالعظام من نخرٍ وبلاء، ويفقدها الرقة والدلال والبهاء، فتصبح للرجل كداءٍ بلا دواء، جهلوا يا سيدي شهريار أن العلم للمرأة كالغدير للزرع والأشجار، يجعلها نَدِيَة،بهية، تشبه الأزهار، ويعود بالتالي على الرجل بأجمل الآثار.

دُهش شهريار، و سأل: من أين أتيتِ بهذه الأفكار، أجبته بشيء من المكر والاحتيال ، ياسيدي شهريار، ياسيد الرجال، دعني أُطلِعُكَ على سر الأسرار ، نظر إلي باهتمام، وعيناه تقول ما لم يقوله بالكلام، ولسان حاله يقول، بوحي ياشهرزاد بالمجهول، فلم أعد للصبرِ حمول، فبدأتُ أفسر وأقول.. هل تعرف يامولاي ما هو كنز الكنوز وسر الأسرار؟

قضب حاجبيه وصاح بإستنكار، ماذا تقصدين بكنز الكنوز وسر الأسرار؟

أجبتُ: اسمح لي يامولاي الملك، أن أصحبك في رحلةٍ قصيرةٍ خارج مملكتك، وسأريك الكنز الثمين والسر الخفي، تردد قليلاً ثم أجاب: ليكن، ومتى تكون الرحلة؟ قلتُ الآن إن شئت، قال: هيا دون إبطاء، خرجنا بصحبةالحراس، قاصدين جزيرة الهراس، واستغرقت الرحلة ثلاثة أيام، بين النهر والبر والتلال والآكام، وحين وصلنا الجزيرة، استقبلتنا مرجانة الأميرة، ومشت معنا حتى منتصف الجزيرة، إلى أن وصلنا إلى كهفٍ كبير، فطلبتُ من مولاي شهريار، أن يأمر وزيره وحراسه أن يبقوا خارجاً في انتظار، و لما وقفنا أمام الباب.

هتفتُ بأعلى صوتي: افتح ياسمسم، ففُتح الباب، ودخلنا الكهف، ووجدنا ثلاثة أبواب ، سألني شهريار عما خلفها، قلت لا تتعجل يامولاي، ولا تزد في السؤال، فكل الأشياء ستتضح لك في الحال.

فُتح الباب الأول، وبينما ننظر داخله إذ تسمر شهريار، من هول المفاجأة والانبهار، فقد رأي بالداخل، كل العذارى الأوائل، الذين قتلهم بسيفه البتار، وحين فُتح الباب الثاني، زاد تعجب الجبار، لما نظر ورأى كل شخوص حكاياتي التي سردتها له في ألف ليلة وليلة، رأى الإنس والجان، فكاد يصاب بالهذيان، ووسط دهشته وذهوله، فتح الباب الثالث، فرأى شيئاً عجيباً، رأى قلباً أحمر كبيراً، تسيل منه الدماء، ورأى بجواره جرة ماء.

قال شهريار أنا لم أفهم شيئاً، كيف لم تمت العذارى الحسناوات، اللاتي قتلتهن قبلك، وكيف لشخوص حكاياتك أن تكون حقيقية! أليست هي من وحي الخيال؟ ثم عاد وتساءل في ارتياب:ثم قلبٌ من هذا؟ ولماذا تسيل منه الدماء، ولماذا تجاوره هذه الجرة المملوءة بالماء ؟! أجبته: هديء من روعك يامولاي، سأجيبك على كل سؤال، وأخبرك بكل سر من الأسرار ، الحجرة الأولى هي أفعالك، والحجرة الثانية هي أفعالي، أما الحجرة الثالثة فهي نتيجة أفعالك وأفعالب، فقال: فهمتُ الغرفتين الأولتين أما الثالثة فأحتاج منكِ كي أفهمها بعضاً من الإيضاح.

قلتُ موضحةً: مولاي! أنت قتلت العذراوات الحسناوات فكان جزاؤك من جنس عملك، قلبك متعب ولا يعرف للراحة مكان، وينزف من الأشجان، قال: صدقتِ يا شهرزاد، كيف عرفتِ ما في قلبي من أنكاد؟! قلت: هذا هو سر الأسرار يامولاي، قلب الأنثى الذي لا يخطيء الحس، ولا يسكنه سوى الشعور الطيب ورهافة الحس، تساءل: وهذه الجرة المملوءة بالماء؟ قلتُ: هذا جزاء عملي، فقد غيرتُ حياتك بحكاياتي، أوليس كذلك؟! قال: بلى، لقد غيرت حياتي من حياة إنسان بائس حزين ملول يكره النساء ويقتلهن غيظاً وسأماً، إلى إنسان آخر يحب الحياة ويحبك يا شهرزاد ،قلتُ وقد فاجأني اعترافه، فلطالما عرفته معانداً و مكابراً، وأصبح شديد الرقة والعذوبة. قلت و الدهشة تطل من عيني: مولاي! قال: نعم ياشهرزاد، أُحِبُكِ ولأجل حبك أحييتُكِ، وأحييتُ بفضله كل النساء، قلتُ: وهذا هو كنز الكنوز يا مولاي، سأل: ماذا تقصدين؟

أجبتُ: أنت كَنزي يامولاي، دخلت قصرك ناويةً إيقاعك في شَرَكي، لأثنيكَ عن قتل النساء، فوقعتُ أنا في شَرَكِ حب مولاي، تعجب شهريار: حقاً ياشهرزاد؟ أتحبينني حقاً، قلتُ: حقاً يامولاي، أحبُك . فأمسك شهريار يديَّ، وطبع فوقهما قبلةً من فمه، وقال: من قال أن النساء حمقاوات؟ وإنهن لا يجدن شيئاً سوى الهندام ووضع المزِينَات؟ لا يا مولاتي

الملكة، النساء الحُرات لا يليق بهن سوى العلم والعمل وإثبات الذات، أشكرك شهرزاد ، فلولاكِ ما عرفتُ الحبَ، ولا قيمة النساء .

و أصدر شهريار فرمانه في الحال ، بوجوب إشراك النساء في كل المهام والأعمال، وعدم حِكر العلم والعمل على الرجال .

وكم سعدتُ بهذا الفرمان ، وتزوجنا أنا ومولاي السلطان ، وعشنا في ثبات ونبات ، وأنجبنا ثلاثاً من البنين والبنات .